

القدس - الاراضي المقدسه للاعلام -

تميزت الانتفاضة الوطنية في الاراضي المحتلة ، خلال الشهور الثلاثة الاولى ، بامتلاك الفلسطينيين لعنصرين هاميين في عملية المقاومة المستمرة للاحتلال الاسرائيلي ، يتمثلان في عنصر المفاجأة ، وزمام المبادرة . وهذه هي المرة الاولى في تاريخ الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي ، التي استطاع فيها الجانب الفلسطيني بتجريد قوات الاحتلال من هاتين الوسيلتين ، اللتين اقامت اسرائيل عليهما خططهما الاستراتيجيه الراميه الي اخضاع الجماهير الفلسطينييه لجبروتها العسكري ، وبرامجها السياسيه والاقتصادي . ويرى المراقبون ، ان هذا "الابدال" القسري لوسائل الصراع ، ادى في الفترة المشار اليها ، الي ارباك القيادة العسكريه من ناحيه والتشويش علي القيادة السياسيه في اسرائيل من ناحيه اخرى . مما دفع بالقيادتين الي اعاده تقييم جدية للاجراءات المتبعه ضد الفلسطينيين في الضفة والقطاع . ويعتقد المراقبون ، ان عنصر المفاجأة الفلسطيني قد تمثل في الواقع في اشعال نار الانتفاضة الشعبيه وما ترتب علي ذلك ، من أنشطة وطنية جماهيرية خلقت حالة من الفوضى في الصف الاسرائيلي . بينما شكل زمام المبادرة الفلسطيني بالمقابل ، نمطا جديدا في العمل الجماهيري ، وضمانة لاستمرار الانتفاضة ، من حيث تحديد مواعيد المظاهرات ، المسيرات ، الاضرابات التجارية ... وغيرها من الامور . بطريقة وضعت القوات الاسرائيلية في موقع "الدفاع" عن سلطة الاحتلال ومؤسساته ، واستمرار محاولاتها للحاق في ركب الانتفاضة الذي تجاوز اغلبية الحواجز الاسرائيلية والسدود التي وجدت اصلا

لتكبير الوطنيين الفلسطينيين . لقد حققت الانتفاضة الفلسطينية العديد من المكاسب الوطنيه والجماهيريه والسياسيه نتيجة لامتلاك الوطنيين الفلسطينيين للعنصرين المذكورين ، سواء علي صعيد الشارع الذي استعاد ثقته بنفسه وبالحركه الوطنيه ، او علي الصعيد العربي والدولي الذي انبهر بالتحرك الفلسطيني المنظم ، وسارع الي الاستجابة لاهدافه المرتكزه الي المطالبه بحق تقرير المصير واقامة الدولة المستقلة .

وانسجاما مع الحقائق الجديدة ، يشير المراقبون الي محاولة سلطات الاحتلال ، في البداية ، تجنب الكثير من الصدامات مع المواطنين . علي امل تكثيف جهودها لقمع بوور الانتفاضة الاكثر اشتعالا بالضفه والقطاع . واليوم ، فإن قوات الاحتلال لم تلبث طويلا في "القوالب" التي فرضتها عليها الانتفاضة الشعبيه ، بعدما أخذت بالتحرك بشكل هجومي ، كالعاده لاجهاف الثورة وكبح جماحها من جهة ، ولتجريد الوطنيين الفلسطينيين من عناصر القوة المذكورة ، وبالتالي استعادة زمام المبادرة ووضع الجماهير في خانة "الدفاع عن النفس وما يرتبط بذلك من قيام الحركة الوطنية بتركيز الجانب الاكبر من جهودها لمعالجة اثار الممارسات الاسرائيليه واجراءات الاحتلال التعسفيه .

لقد افرز التحرك الاسرائيلي الجديد ، نوعا من التحدى المعنوي العنيف ، بين الحركة الوطنيه الفلسطينية من ناحيه ، وقوات الاحتلال من ناحيه اخرى . ويبدو ان القول الحسم في هذه الحالة سيكون للطرف الذي يمتلك الإرادة ، والقرار الصارم ، والصبر ، وطول النفس .

علي كل حال ، من ملامح الهجوم الاسرائيلي الذي أعلن عنه اسحاق رابين وزبير الدفاع الاسرائيلي مؤخرا ، الاجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال في يوم الارض ، والتي عزلت عبرها مدن وقري ومخيمات الضفة والقطاع عن بعضها . اضافة الي ارتفاع عدد الشهداء والجرحي في الاسبوعين الماضيين . وقيام السلطات بفرق حصار عسكري وتمويني ضمن سياسة "التجويع" علي بعض مناطق الضفة والقطاع . ان سياسة الخنق الاقتصادي ستضع الحركة الوطنية امام مشكلة نضالية وفنية فالمناطق المحاصرة بحاجة الي العون الغذائي ، كما انها غير مؤهلة كثيرا لتحرك عملي فاعل لدرجة كبيرة ضد القوات الاسرائيلية .

وفي هذا السياق ، يلاحظ المراقبون ، ان الحكومة الاسرائيلية قد درست بعناية فائقة ، التجربة الفلسطينية في عام 1936 ، حيث يؤكد بعض المؤرخين ان الضائقة الاقتصادية حينذاك ، كانت من اهم العوامل التي ادت الي فشل الاضراب الطويل .

ومن الملامح الأخرى للهجوم الإسرائيلي ، المداهمات اليومية وعمليات الاقتحام المتتالية للقري الفلسطينية كما حدث مؤخراً في بيت لقسيا ، ودير بزيع في قضاء رام الله ، وبيت عوا وأذنا في قضاء الخليل .

بالعادة ، يرافق هذه العمليات اعتقالات واسعة ، واستفزازات للمواطنين بما في ذلك من تحطيم لأثاث بيوتهم .

وكانت القوات الإسرائيلية في الشهور الأولى للانتفاضة تتجنب الدخول الي القري ، بينما تقتحمها اليوم بحجة إزالة الحجارة من الطرق ، أو إنزال علم فلسطيني . وكانت أيضا ، كما قلنا في السابق ، تتجنب الاشتباك مع المواطنين ، إلا أنها حاليا حسبما أكد اسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي في الأسبوع الماضي للصحفيين - تبادر للمواجهة والاشتباك مع المتظاهرين ، وأغلاق المحال التجارية والمكاتب والمؤسسات لاي سبب كان . زيادة علي الإمعان في الحصار الاقتصادي ، بقطع الوقود عن الأراضي المحتلة ، مثلا ، أو وقف تزويدها ببعض المواد الغذائية التي نفذت من الأسواق . أو بمنع المزارعين الفلسطينيين من زراعة أراضيهم وجني محاصيلهم .

وفي بعض الأحيان تشكل الإجراءات الإسرائيلية الهجوميه ضغطا متزايد علي السكان ، الذين يجدون أنفسهم أمام خيارين | إما " الخضوع " لقوات الاحتلال أو الاستجابة لنداءات قيادة الانتفاضة . وأفضل مثال علي ذلك ، قضية المحال التجارية . فالحركة الوطنية تدعو التجار لفتح محالهم من الساعة ٨ - ١١ ، بينما الأوامر العسكرية تطالبهم بفتحها من الساعة ١٢ - ٦ مساءً .

مما أدى في البدايه ، الي اغلاق المحال التجارية بشكل كامل طيلة ساعات اليوم ، ومن ثم التوقف عن تزويد المواطنين بالمواد الغذائية .

ولكن يلاحظ ، أن العديد من التجار يحاولون إيجاد وسيلة للعودة الجماعيه وفي يوم واحد لفتح محلاتهم في الاوقات التي حددتها قيادة الانتفاضة . وبرزت هذه المحاولات الأسبوع الحالي في مدينتي الخليل وبيت لحم .

خلاصة القول ، أن الهجوم الإسرائيلي يضع أمام الحركة الوطنية الفلسطينية الكثير من التساؤلات ويفرض عليها التمسك بعنصرى التفوق والقوة ، قبل فوات الأوان .

بينما يضع الهجوم المذكور ، الجماهير الفلسطينية التي هي جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية أمام خيارين مركزيين ، وبالأحرى في مواجهة إحتمايين :

الأول :

خروج المزيد من القطاعات الشعبية في الضفة والقطاع الي الشارع للتعبير عن رفضها للاحتلال . خاصة وأن الإجراءات الإسرائيلية الجديدة تلحق الضرر بالمواطنين لكونها تأخذ طابع " العقاب الجماعي " .

مما سيعني بالضرورة اتساع نطاق الانتفاضة ، وتصاعدها ، وبالتالي دخولها الي مرحله جديدة ، أكثر عنفا في مقاومة الاحتلال ، وتحديا لإجراءاته .

والثاني :

تراجع الانتفاضة تدريجيا تحت ضغط القمع الإسرائيلي الهجومي وعودتها الي مرحلة " السكون " المفاجئ . في الوقت الذي سيخضع فيه الكثيرون بريق الانتفاضة الأول ، ويواصلون الاعتقاد بأن الانتفاضة مستمرة .

والآن أي الاحتمالين ، أكثر ترجيحا ؟

الجواب متروك للجميع .